Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويمضى فى هذه القصيدة ذات المطلع التقليدى الذى يبدأ بالغزل ، وينتقل منه إلى مدح المهدى ، وهو يحافظ على جمال الصياغة وقوة الألفاظ ، كما أنه لا يمدح الخليفة بغير الكرم والشجاعة ، وأنه ورث الخلافة عن آبائه . ولعل تمسك بشار ــ فى مديحه ــ بقوة اللغة من الأمور التى جعلته محل تقدير المحافظين من النقاد وعلماء اللغة ، وجعلتهم يستشهدون بشعره فى بعض الأحيان ، وقد كان بشار يعنى بشعره ، وقد قيل له : « ليس لأحد من شعراء العرب شعر إلا وقد قال فيه شيئاً استنكرته العرب من ألفاظهم وشك فيه ، وأنه ليس فى شعرك ما يشك فيه ، قال : ومن أين يأتينى الخطأ ! ولدت هنا ، ونشأت فى حجور ثمانين شيخاً من فصحاء بنى عقيل ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ ، وإن دخلت إلى نسائهم فنساؤهم أفصح منهم ، وأيفعت فأبديت ، فمن أين يأتينى الخطأ »[١١٥] .

وليس معنى ذلك أن شعر بشار قد جاء صورة مكررة من شعر سالفيه ، فذوق العصر واضح فى هذا الشعر ، على الأقل فى حسن الانتقال ، وبراعة الاستهلال ، هذا بالإضافة إلى دقة التصوير ورقته . وعلى الجملة لم يكن تجديد بشار فى فن المديح عميقاً عمق تجديده فى الفنون الأخرى ؛ فهو لا يخرج على المدح بالصفات التى مدح بها السابقون ، وإن افتن فى الصياغة ، ومن ذلك قوله :

لَمسْتُ بكفِّى كَفَّه ابتغى الغنَى ... ولم أدرِ أنَّ الجُودَ من كَفِّه يُعْدِى
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغِنَى ... أَفَدْتُ وأَعْدَانِى فأَفْنَيْتُ ما عندِى

فالصفة التى يقدمها للممدوح هى الصفة التى نجدها عند من سبقه من شعراء المديح ، بل وعند من جاء بعده من هؤلاء الشعراء ، ولكن بشاراً جاء بها فى معرض جديد ، مما جعل عالماً من علماء اللغة هو أبو عمرو بن العلاء يجعله أمدح الناس[١١٦] إن بشاراً ــ فى مديحه ــ قد جعل من القديم أساساً له ، فهو لم ينفصل عنه ، واستمد عناصره أو كثيراً منها من هذا القديم ،

---

(١١٥) الاغانى ٣ : ٩٩٥ ، ٩٩٦ .
(١١٦) المصدر نفسه ٣ : ٩٩٦ .